

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم علوم قرآن

مادة مناهج مفسرين/ مرحلة رابعة

أ.م.د ابراهيم علي فحل

هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (١) . (٩٧ - ١٦١ هـ) . كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم . وأجمع الناس على . (دينه وورعه وزهده وثقته ، وهو أحد الأئمة المجتهدين (٢)

أخذ العلم عن جم من الأقطاب : كجابر الجعفي وسمالك بن حرب والأعمش وشعبة وعاصم بن بهدلة وابن أبي ليلى وابن أبي نجيح وابن جريح وعطاء بن السائب وابن إسحاق ، وأمثالهم كثير . وعده الشيخ من . (ممن أسند عنه (٣) أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام

وأخذ عنه الأعلام من الخلف : كأبان بن تغلب - ومات قبله - وحفص بن غياث وروح بن عباد وسفيان بن عيينة والطيايسي والأعمش - وهو من شيخوخة - وكذا شعبة - وكان من أقرانه - ومالك بن أنس وابن إسحاق - وهو

من شيوخه - ومعمار بن راشد - كان من أقرانه - ووكيع بن الجراح ويحيى
بن سعيد القطان ، وخلق كثير .

عن شعبة وابن عيينة وابن معين وغير واحد : إنه أمير المؤمنين في
الحديث . وعن المروزي عن أحمد - وذكر سفيان - : لم يتقدمه في قلبي
أتدري من الإمام ؟ الإمام سفيان الثوري . وقال شعبة : إن : أحد . ثم قال
سفيان ، ساد الناس بالورع والعلم . قال الخطيب : كان إماماً من أئمة
المسلمين ، وعلماً من أعلام الدين ، مجمعاً على إمامته ؛ بحيث يستغنى
عن تركيته ، مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد إلى غيرها
(من نعوت وأوصاف ذكرتها الأئمة بشأنه ٤) .

وكان يحيى بن سعيد القطان يفضل على مالك بن أنس في كل شيء : في
الحديث ، وفي الفقه ، وفي الزهد .. على ما رواه عنه يحيى بن معين .
وكان يقول : رأي سفيان أحب إلى من رأي مالك . لا يشك في هذا (٥) .
كما وأن فضيل بن عياض كان يفضل الثوري في فقيه على أبي حنيفة ،
(يقول : وكان - والله - سفيان أعلم من أبي حنيفة ٦) .

كان سفيان الثوري قد نشأ في الكوفة ، وفي أحضان حضارتها النابعة من
صميم الإسلام ، والنابضة بحيوية الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) وعلى
ذلك تضامت معالم العلم والولاء ف ديار كوفان ، وفي هذا الجو الوضيء
نبغ الثوري وأمثاله من علماء وفقهاء ومحدثين كبار . فلا غرو من مدرسة
الكوفة أن تتجه اتجاهها في التشيع الأصيل ، وجرياً مع القادة من آل بيت
الرسول .

نعم ، كان سفيان الثوري ذا نزعة شيعية ، وفق بيئته ، والتربية التي تربي عليها ، على يد أفلاذ الشيعة العلماء الكبار

لكن هناك رواية عن زيد بن الحباب (مات سنة ٢٠٣ هـ) أن أربعة من المحدثين - عمار بن رزيق الضبي ، وسليمان بن قرم الضبي ، وجعفر بن زياد الأحمر ، وسفيان الثوري - خرجوا يطلبون الحديث ، وكانوا يتشيعون . فخرج سفيان إلى البصرة فلقي عبد الله بن عمون بن أرطبان (توفي : ١٥٢ هـ) وأيوب بن أبي تميمة كيسان الخثياني (توفي : ١٣١ هـ) ، فترك . (التشيع ٧)

لا شك أنه حديث مفتعل ؛ إذ كيف ينخلع جهبذ - توطدت أركانه على أساس حكيم - عن ذاتياته التي تلقاها من فول ، لمجرد لقاء نفر لا شأن لهم وكان سفيان مفضلاً عليهما بفقعه ودرايته ، وليس ! سوى تعاطي الحديث . (المجرد روايته ، كما كان غيره ٨)

ثم إن زيدا لا يذكر مستنده في هذا النقل ؛ حيث إنه لم يدرك حياة ابن عون ولا أيوب في الوقت الذي لقيهما الثوري فيما فرض ، ولا بد أنه قبل الثلاثين بعد المائة ! ولعلّه لم يولد زيد بعد حينذاك ! فمن الذي حضر ! المشهد وحدث زيدا بما شهد ، بعد أمد غير قصير ؟

على أن زيد بن الحباب كان كثير الخطأ ، وكان مدلساً يقلب حديث الثوري . كما قال أحمد وابن معين - فضلاً عن روايته عن المجاهيل وفيها المناكير . - (كما قال ابن حبان - ٩)

فيا ترى كيف يصدق قول مثله - وبهذا الإسناد المنقطع - على مثل الثوري
ذلك العبد الصالح الذي كابد الأمرين في مكافحة الظلم ، وجاهد ف نشر
. (العلم ، وتثبيت معالم الدين (١٠)

* * * *

* *

هذا ، وفي رواياتنا ما يشي بذهمه ، وأنه كان منحرفاً في عقيدته ، وربما
: ريمه يكونه صاحب بدعه ! لكنها روايات واهية الإسناد مضطربة المفاد

فقد روى الكشي حديث اعتراض الثوري على الإمام الصادق ارتياده ثياباً
جياداً . فمرة ينسبه إلى ابن عيينة ، واخرى إلى الثوري . يروي عن
العياشي عن الحسين بن اشكيب عن الحسن بن الحسين المروزي - مجهول
- قال : سمعت بعض (؟) أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام) وذكر
. الحديث (١١) . فالإسناد ، سلسلة المجاهيل

وذكر أيضاً أنه وجد في كتاب أبي محمد جبريل بن أحمد الفاريابي ،
يتحدث عن ابن عيسى عن ابن الفضيل عن عبد الله بن عبد الرحمان -
ولعله الأصم كان من كذابة أهل البصرة - عن الهيثم بن واقد عن ميمون
بن عبد الله - مجهول - قال : أتى قوم أبا عبد الله من الأمصار يسألونه
الحديث ... وذكر أحاديث نسبوها إلى الثوري - وفيها الأعاجيب المستنكرة
؟ ، باد عليها ملامح التعمّل والافتعال - يبدو أنها صنعت لغرض ما ! وفي
آخره كلام الإمام الصادق (عليه السلام) بشأن البصرة وذم أهلها ، وأنهم
أهل القول بالقدر الذي فيه الفرية على الله ، وبغض أهل البيت ، وكذبهم
. على آل الرسول ، واستحلال الكذب عليهم

ولعلّه إشارة إلى ما رمى به الحسن البصري من العداء لأهل البيت ، وقوله
بالقدر ، وكذا سفيان الثوري على ما اتهمه خصومه . الأمر الذي يؤكد
على دسّ في هذا الحديث حتماً ، بعد ما عرفت من ولاء الحسن لآل البيت
وإخلاصه المادة في آل الرسول . أما سفيان فأجدر به أن يكون موالياً
. للعترة ، بعد كونه تربية معهد الولاء لأهل البيت

ثم إن هذا القاتل ذهب عنه أن سفيان الثوري كان إمام أهل الكوفة ، فيها
نشأ وترعرع ، وتربى على أحضانها ، وظل عاكفاً على أعتابها مدة حياته
، ولم يخرج من الكوفة خروجاً بلا عودة إلا بعد الخمس وخمسين ومائة
(١٢) ، أي قبيل وفاته بست سنوات . وظل هارباً من سطوة السلطان إلى
أن أقضى نحبه في إحدى مختبأته بالبصرة ، سنة إحدى

وستين بعد المائة . ومع ذلك فقد وهموا بشأن الرجل ، فحسبوه إمام أهل
! البصرة ، في حين أنه لم يكد يحضرها إلا خائفاً يترقب

هذا المحقق التستري يأتي برواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) يذكر
فيها سفيان ، وينعته يفقيهكم - مخاطباً لعبد الرحمان بن الحجاج ، وهو
بصري في زعم التستري (١٣) - في كلام له مع الإمام بشأن تجويزه
الإحرام لأهل مكة ، للحج من الجعرانة (١٤) . يحاول نصح الإمام أن لا
.(يفعل) (١٥)

وقد استشعروا الذم بشأنه من هذا الحديث (١٦) . والحديث مضطرب في
.(نصه) (١٧)

وذكر ابن النديم - عند الكلام عن الزيدية - : أن أكثر المحدثين [الأوائل] على هذا المذهب ، مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وصالح بن حي (18) وولده غيرهم .

وذكر أبو الفرج الأصفهاني - في ترجمة عيسى بن زيد بن علي - أنه أتى سفيان الثوري يسأله عن مسألة من السيرة ، فأبى أن يجيبه خوفاً من السلطان ، ولما عرفه أنه عيسى بن زيد ، ترحب به وعانقه وأجلسه في مكانه ، وجلس بين يديه وأجاب مسألته ، وهو يبكي عطفاً عليه . ثم أقبل وعانقه وأجلسه في مكانه ، وجلس بين يديه وأجاب مسألته ، وهو يبكي عطفاً عليه . ثم أقبل على الجلوس ، وقال : إن حب بني فاطمة والجزع لهم مما هم عليه من الخوف والقتل والتطريد ليبيكي في قلبه شيء من الإيمان . ثم قال لعيسى : قم ، بأبي أنت ، فأخف شخصك ، لا يصيبك . (من هؤلاء شيء نخافه ... (١٩)

وذكر السيد محسن الأمين العاملي أن ابن رسته ، عد سفيان الثوري - في كتابة الأعلام النفسية - من الشيعة . وفي هامش البيان والتبيين للجاحظ ، تعليق حسن السندوبي المصري (ج ٢ ، ص ٨٧) : سفيان الثوري ، كان من التابعين وأهل الحديث مع الفقه والورع والتقوى ، وكان شيعي الرأي ، طلب للقضاء فلم يقبل ، فطلبه السلطان ليأخذه بتشيعه ، ففر وظل متوارياً : بالبصرة حتى مات ودفن عشاء . وفيه يقول الشاعر

(تحرز سفيان وفرّ بدينه وأمسى شريك مرصداً للدرهم (٢٠)

قال الذهبي : قد كان سفيان رأسياً في الزهد والتأله والخوف ، رأسياً في الحفظ ، رأسياً في معرفة الآثار ، رأساً في الفقه ، لا يخاف في الله لومة

لائم ، من أئمة لائم ، من أئمة ، من أئمة الدين - إلى قوله - : وفيه تشيع ... (إذا كان يقدم علياً على عثمان) (٢١) . يسير

غير أن الحقيقة تشهد بأن سفيان كان على تشيع وفير ، وبمعناه الشامل في كلا جانبي الولاء والتبري من الأعداء . نعم ، كان على أتقاء شديد رغم صراحة لهجته وعدم خشيته من لومة لائم ، وكان كلما حاول التصريح بمكنون ضميره منعه الأحباء حفاظاً على نفسه . يروي أبو نعيم بإسناده إلى مؤمل بن إسماعيل ، قال : سمعت سفيان الثوري يقول : منعنا الشيعة . (أن نذكر فضائل علي عليه السلام) (٢٢)

وهل كان زدياً كما حسبه ابن النديم أو إمامياً كما قد يقال ؟ فهذا لم يثبت ولا شاهد له ، ولا فهم أصحابنا ذلك بشأنه . ومن ثم قال العلامة - وتبعه ابن داود - : سفيان ليس من أصحابنا (٢٣) ، أي إمامياً حسب المصطلح . لكنه ثقة أمين خاضع الولاء لآل بيت الرسول، فرحمه الله عليه .

وقد اخذ برواياته الأصحاب فيما رواه عن جابر الجعفي وعن الإمام (الصادق وعن السكوني وغيرهم) (٢٤) .

.